القراءات القرآنية

بين القديم و الجديد و الشاذ

إطلالة تاريخية

الأستاذ : **يوسف بـــوجــلة**
قسم اللغة العربية – كلية الآداب
جامـــعة سعـــد دحلب –البليدة

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى: (هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هنّ أمّ الكتاب وأُخر متشابهات فأمّا الذين في قلوبهم زيغٌ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة و ابتغاء تأويله و ما يعلم تأويله إلاّ الله و الراسخون في العلم يقولون ءامنّا به كلّ من عند ربّنا و ما يذكّر إلاّ أولوا الألباب) [سورة آل عمران، الآية 7].

همّنا الأول في هذه العجالة، التوصّل إلى دراسة تاريخية نموذجية تجمع بين ما كانت عليه القراءات القرآنية في عهد رسول الله –صلى الله عليه و سلّم- و صحابته -رضوان الله عليهم أجمعين- و ما أضحت عليه بعد جمع القرآن الكريم في مصحف الخليفة الثالث عثمان بن عفان -رضي الله عنه- وكذا ما جدّ بعده من بعض القراءات القرآنية و وصف بـ «الشاذ».

- <u>القرآن كما يصفه من أنزله:</u>

قال الله تعالى: (وإن كنتم في ريب ممّا نزّلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله، و ادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين (23) فإن لم تفعلوا و لن تفعلوا فاتّقوا النار التي وقودها الناس و الحجارة أُعدّت للكافرين (24)) [سورة البقرة، الآيتان 23 و 24].

و قال الله تعالى: (قل لئن اجتمعت الإنس و الجنّ على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله، و لو كان بعضهم لبعض ظهيراً) [سورة الإسراء، الآية 88].

و قال الله تعالى:(كتابٌ أُحكمت آياته ثم فصّلت من لَدُن حكيم خبيرٍ) [سورة هود، الآية 1].

و قال الله تعالى: (كتاب فصّلت آياته قرآناً عربيّاً لِقوم يعلمونَ) [سورة فصلت، الآية 3].

و قال الله تعالى: (و إنّه لَكتابٌ عزيز (41) لا يأتيه الَباطل من بين يديه و لا من خلفه تنزيلٌ من حكيم حميد (42)) [سورة فصلت، الآيتان 41 و 42].

- <u>و يصفه من أنزل عليه -صلى الله عليه و سلّم-</u>

- « أشراف أمتي حملة القرآن ».
- « القرآن لا غنى دونه و لا فقر بعده ».
- « إنّ هذا القرآن مأدبة الله، فتعلّموا من مأدبته ما استطعتم ».
- « حملة القرآن المخصوصون برحمة الله، المعلّمون كلام الله، المقربون إلى الله، من والاهم، فقد والى الله، و من عاداهم فقد عادى الله، و يدفع الله عن مستمع القرآن بلاء الدنيا، و يدفع عن قارئ القرآن بلاء الآخرة ».
- « يا حملة القرآن تحبّبوا إلى الله بتوقير كتابه، يزدكم حبّاً، و يحببكم إلى عباده ».

و عن علي بن أبي طالب –كرّم الله وجهه- قال: سمعت رسول الله –صلى الله عليه و سلّم- يقول: «إنّها ستكون فتن» قلت: فما المخرج منها يا رسول الله ؟ قال: «كتاب الله فيكم، فيه خير ما قبلكم، و نبأ ما بعدكم، و حكم ما بينكم، هو الفصل ليس بالهزل، هو الذي لا تزيغ له الأهواء، و لا تشبع منه العلماء، و لا يَخْلَقُ عن كثرة الرد، و لا تنقضي عجائبه، و هو الذي من تركه من جبّار قصمه الله، و من ابتغى الهدى في غيره أضلّه الله، و هو حبل الله المتين، و هو الصراط المستقيم، هو الذي من عمل به أُجِر و من حكم به عدل، و من دعا إليه دعا إلى صراط مستقيم»، أخرجه الترمذي.

- **القرآن كما وصفه أهل السنة**

ذهب أهل السنة في تعريف القرآن و تضمينه إلى جملة أقوال ذكرها السيوطي في كتابه "الإتقان" و المختار منها ما نصّ عليه إمامنا الشافعي –رحمه الله- و هو إن لفظ القرآن المعرّف بأل ليس مهموزاً و لا مشتقّاً بل وُضع علماً على الكلام المُنزّل على النبي –صلى الله عليه و سلّم- و أمّا القرآن فقد قال أهل السنة: القرآن كلام الله تعالى منزّل غير مخلوق، منه بدأ و إليه يعود، و هو مكتوب في المصاحف محفوظ في الصدور مقروء بالألسنة مسموع بالآذان.

- **القرآن في اللوح المحفوظ:**

قال ابن عباس و غيره: أنزل الله القرآن جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة من السماء الدنيا، ثم نزل مفصّلاً بحسب الوقائع في ثلاث و عشرين سنة على رسول الله –صلى الله عليه و سلم- و جاء فيه قوله تعالى: (بل هو قرآن مجيد (21) في لوح محفوظ (22)) [سورة البروج، الآيتان 21 و 22].

- **تاريخ بدء الوحي:**

كان الرسول –صلى الله عليه و سلّم- يتعبّد في غار حراء بمكّة حين جاءه الوحي في يوم الاثنين لسبع عشرة خلت من رمضان للسنة الحادية و الأربعين من ميلاد رسول الله –صلى الله عليه و سلّم- و كانت ولادته بمكّة صبيحة يوم الاثنين تاسع ربيع الأول للسنة الأولى من حادثة الفيل و هو يوافق عشرين أبريل سنة واحد و سبعين و خمسمائة ميلادية. و كانت وفاته –صلى الله عليه و سلّم- بالمدينة في ضحوة يوم الاثنين ثالث عشر ربيع الأول سنة إحدى عشرة من الهجرة سنة ثلاث و ثلاثين و ستمائة ميلادية، فيكون عمره –صلى الله عليه و سلّم- ثلاثة و ستين سنة كاملة و ثلاثة أيام.

- **كيفية نزول الوحي:**

كان الوحي ينزل على رسول الله –صلى الله عليه و سلّم- في مكّة و المدينة و غيرهما، و في أوقات مختلفة من ليل أو نهار، و في الحالات كلّها راكباً و جالساً، و في بيته و في غير بيته ، و

على فراش زوجته أم المؤمنين عائشة –رضي الله عنها- و لقد كان –صلى الله عليه و سلّم- إذا نزل عليه الوحي يجد له مشقة و كرباً لثقل ما يلقى عليه، قال الله تعالى: (إنّا سنلقي عليك قولاً ثقيلاً) (1). ولذلك كان يعتريه مثل حال المحموم كما روي أنه كان يأخذه عند الوحي الرُّحَضاء، و لذلك كان جبينه يتصبّب عرقاً.

و قد ذكر البخاري في حديث يعلى بن أمية «فأدخل رأسه، فإذا برسول الله –صلى الله عليه و سلّم- مُحمرّ الوجه و هو يغطّ ثم سُرّي عنه». و في حديث الإفك قالت عائشة -رضي الله عنها- «فأخذه ما كان يأخذه من البُرَحاء عند الوحي، حتى إنّه لينحدر منه مثل الجمان من العرق في اليوم الشاتي من ثقل القول الذي أنزل عليه».

و في الخبر «أنّ النبي –صلى الله عليه و سلّم- كان إذا أوحي إليه و هو على ناقته وضعت جرانها –يعني صدرها- على الأرض فما تستطيع أن تتحرّك حتى يُسرَّى عنه. و أوحى إليه –صلى الله عليه و سلّم- و فخذه على فخذ زيد بن ثابت فكادت أن تُرَضّ فخذ زيد».

- **<u>نزول القرآن الكريم</u>:**

جاء في تفسير ابن كثير عند قوله تعالى: (شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن) [سورة البقرة، الآية 185، ص 34]. روى الإمام أحمد بن حنبل أن رسول الله –صلى الله عليه و سلّم- قال: «أنزلت صحف إبراهيم في أول ليلة من رمضان، و أنزلت التوراة لستٍ مضين من رمضان، و الإنجيل لثلاث عشرة خلت من رمضان، و أنزل القرآن لأربع و عشرين خلت من رمضان»، و في حديث جابر بن عبد الله «إن الزابور أُنزل لِثنتي عشرة خلت من رمضان، و الإنجيل لثماني عشرة » و الباقي كما تقدّم. و عن ابن عباس –رضي الله عنهما- أنه سأل عطية بن الأسود فقال: وقع في قلبي الشك . في قول الله تعالى (شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن) و قوله تعالى: (إنا أنزلناه في ليلة القدر) و قد أنزل في الشهور التالية: في شوال و في ذي القعدة و في ذي الحجة و في المحرّم و في صفر و شهر ربيع الأول. فقال ابن عباس –رضي الله عنهما- : إنه أنزل في ليلة القدر و في ليلة مباركة جملة واحدة، ثم أنزل على مواقع النجوم ترتيلاً في الشهور و الأيام.

نزل القرآن الكريم على الرسول –صلى الله عليه و سلم- منجماً في ثلاث و عشرين سنة، و كان أول ما نزل به جبريل على قلب الرسول –صلى الله عليه و سلم- (اقرأ باسم ربك) و خاتمته (اليوم أكملت لكم دينكم و أتممت عليكم نعمتي و رضيت لكم الإسلام ديناً) و عدة سوره أربعة عشر و مائة، معظمها نزل بمكّة، إذ نزل بها ستة و ثمانين سورة، و نزل بالمدينة ثمانية و عشرون، و قد يكون في بعض السور المدنيّة مكي و في بعض السور المكيّة مدني.

و كان الرسول –صلى الله عليه و سلم- يتلو الآيات على الصحابة فور نزولها، وكانوا يحفظونها و يتلونها مراراً و تكراراً في آناء الليل و أطراف النهار. و خصّ النبيّ –صلى الله عليه و سلم- مجموعة من الصحابة لكتابة القرآن الكريم، و هم كتبة الوحي، و في مقدمتهم عثمان بن عفان و علي بن أبي طالب و زيد بن ثابت و أُبي بن كعب و عبد الله بن مسعود و أنس بن مالك – رضي الله عنهم أجمعين-.

(1) مصحف القرآن الكريم ، سورة المزمل، الآية 5، ص 672] .

و ثبت أن رسول الله –صلى الله عليه و سلم- كان يعرض ما معه من القرآن على جبريل –عليه السلام- كلّ عام مرة، و في آخر عام عرضه مرّتين و قرأه على أصحابه بنفس الترتيب آيةً آيةً و سورةً سورةً، و تلقَّوه عنه حرفاً حرفاً. و كان منهم من حفظه كلّه و منهم من حفظ أكثره و منهم من حفظ بعضه، كلّ ذلك في عهد الرسول –صلى الله عليه و سلم- و هو بين ظهرانهم.

و تخفيفاً على القبائل العربية و مراعاة لِلهجاتها المتباينة كان الرسول –صلى الله عليه و سلم- يتلو كلماته بلهجات مختلفة تيسيراً على أهل تلك القبائل، و كان يحدث أن يتلو بعض الصحابة آيات بلهجة سمعها من الرسول شفاهاً، في حين قد سمع نفس الآيات بعض الصحابة بلهجة أخرى، تغاير اللهجة الأولى على نحو ما رُوي عن عمر بن الخطاب – رضي الله عنه- إذ ذُكر أنه سمع هشام بن حكيم بن حزم القرشي يقرأ سورة من القرآن على غير ما قرأها له الرسول –صلى الله عليه و سلم- فجذبه من جلبابه حتى وقفا بين يدي الرسول –صلى الله عليه و سلم- و قصّ عليه الخبر، فلم ينكر على قراءتهما. و لمّا كثر من الصحابة ذلك قال عليه السلام: «إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرأوا ما تيسّر منه».

و جاء في إرشاد القراء و الكاتبين أنّ زيداً كتب القرآن كلّه بجميع أجزائه، و أوجهه المعبّر عنها بالأحرف السبعة الواردة في الحديث الشريف. و كان أولاً أتاه جبريل فقال له: « إن الله يأمرك أن تُقرئ أمتك القرآن على حرفٍ واحدٍ ثم راجعه إلى السابعة فقال إن الله يأمرك أن تُقرئ أمّتك على سبعة أحرف، فأيّما حرف قرأو عليه أصابوا» [1] اهـ

- **<u>جمع القرآن الكريم</u>**:

يُطلق على جمع القرآن تارةً على حفظه في الصدور و تارةً على كتابته، فعلى المعنى الثاني نقول: إن القرآن جُمع ثلاث مرات.

الجمع الأول:

كُتب القرآن الكريم كلّه في عهد النبي –صلى الله عليه و سلم- لكن غير مجموعٍ في موضوع واحدٍ و لا مرتّب السور، بل كان مفرّقاً في العُسُب و اللِخاف و الرِقاع و الأقتاب [2] و نحوها مع كونه محفوظاً في الصدور. فقد روى الحاكم في المستدرك عن زيد بن ثابت قال: « كنا عند رسول الله –صلى الله عليه و سلم- نؤلف القرآن من الرقاع » الحديث، و عنه أيضاً قال: «كنت أكتب الوحي عند رسول الله –صلى الله عليه و سلم- و هو يملي عليّ فإذا فرغت قال اقرأه فأقرؤه، فإن كان فيه سقط أقامه». و روى البخاري عن البراء قال: لمّا نزلت (لا يستوي القاعدون من المؤمنين و المجاهدون في سبيل الله) قال النبي – صلى الله عليه و سلم- «ادع لي زيداً و لْيجئ باللوح و الدواة و الكتف أو الكتف و الدواة» ثم قال اكتب: (لا يستوي القاعدون) الحديث. و أخرج مسلم من حديث أبي سعيد قال: قال رسول الله –صلى الله عليه و سلم- «لا تكتبوا عنّي شيئاً غير القرآن».

---

(1) من عنوان البيان في علم القرآن.

(2) العسب بضمٍّ و سكونٍ و بضمّتين أيضاً، جمع عسيب و هو جريد النخيل، كانوا يكشطون الحوص و يكتبون في الطرف العرض. و اللخاف بِكسر اللام جمع الخفة بفتح و سكون و تُجمع أيضاً على الخف بضمّتين: و هي صفائح الحجارة الرقاق. و الرقاع بالكسر جمع رقعة بالضم: و هي القطعة من النسيج أو الجلد. و الأقتاب جمع قتب بفتحتين: و هو رحل البعير.

و عدم جمعه في مجلّد واحد كان لأمرين: -الأول-: الأمن فيه من وقوع خلاف بين الصحابة لوجوده –صلى الله عليه و سلم- بين ظهرانهم. –الثاني-: خوف نسخ شيء منه بوحي قرآن بدله، ففي الإتقان قال الخطابي: إنما لم يجمع –صلى الله عليه و سلم- القرآن في مصحف لما كان يترقّبه من ورود ناسخ لبعض أحكامه أو تلاوته، فلمّا انقضى نزوله بوفاته –صلى الله عليه و سلم- ألهم الله الخلفاء الراشدين ذلك وفاءً بوعده الصادق بضمان حفظه على هذه الأمة.

الجمع الثاني:

جمع أبي بكر الصديق –رضي الله عنه- روى البخاري في صحيحه عن عبيد بن السباق[1] أن زيد بن ثابت –رضي الله عنه- قال: أرسل إليّ أبو بكر مقتل أهل اليمامة فإذا عمر بن الخطاب عنده، قال أبو بكر –رضي الله عنه- إنّ عمر أتاني فقال إنّ القتل قد استحرّ [2] يوم اليمامة بقرّاء القرآن و إني أخشى أن يستحرّ القتل بالقراء بالمواطن فيذهب كثير من القرآن، و إني أرى أن تأمر بجمع القرآن، فقلت لعمر كيف نفعل شيئاً لم يفعله رسول الله –صلى الله عليه و سلم- ؟ قال عمر هذا والله خير، فلم يزل عمر يراجعني حتى شرح الله صدري لذلك، و رأيت في الذي رأى عمر. قال أبو بكر إنّك رجل شاب عاقل و قد كنت تكتب الوحي لرسول الله –صلى الله عليه و سلم- فتتبّع القرآن و اجمعه فوالله لو كلّفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل عليّ ممّا أمرني من جمع القرآن. فكانت الصحف عند أبي بكر حتى توفّاه الله ثمّ عند عمر ثم عند حفصة بنت عمر –رضي الله عنهما- [3]. و هناك روايات أخرى عدلت عن ذكرها -تجنّباً للإطالة-. قال زيد فأمرني أبو بكر فكتبته في قطع الأُدُم و كسر الأكتاف و العسب[4] و كان زيد لا يقبل من أحد شيئاً حتّى يشهد عليه شهيدان، و جاء في إرشاد القراء و الكاتبين أنّ زيداً كتب القرآن كلّه بجميع أجزائه، و أوجهه المعبّر عنها بالأحرف السبعة الواردة في حديث «إنّ هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرأوا ما تيسّر منه».

فأبو بكر رضي الله عنه هو أوّل من جمع القرآن الكريم بالأحرف السبعة التي نزل بها و إليه نُسِبت الصحف البكرية، و كان ذلك بعد وقعة اليمامة، فجمعه للقرآن وقع تقريباً بين غزوة اليمامة و بين وفاته –رضي الله عنه- التي كانت في جمادى الثانية سنة ثلاثة عشر.

الجمع الثالث:

جمع عثمان بن عفان –رضي الله عنه- القرآن في مصحف، و لم يُنقل عنه أنّه كتبه بيده و إنّما أمر بجمعه و كتابته على حرف واحد من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن فلذلك يُنسب إليه

---

(1) قال في فتح الباري: عبيد بن السباق بفتح المهملة و تشديد الموجدة مدني يعنى أبا سعد، ذكرم مسلم في الطبقة الأولى من التابعين.

(2) استحرّ القتل أي اشتدّ و اليمامة واقعة جهة نجد و كانت مع مسيلمة الكذاب الذي ادّعى النبوة و قد قُتِل في هذه الوقعة و ابتدأت غزوتها في أواخر العام الحادي عشر و انتهت في ربيع الأول العام الثاني عشر للهجرة، و فيها قّتل من القرّاء سبعون قارئاً من الصحابة و قيل سبعمائة منهم مثل هذا العدد في بئر معونة قرب المدينة المنوّرة.

(3) رواه البخاري في كتاب التفسير في باب جمع القرآن.

(4) الأدم بضمّتين و بفتحتين أيضاً جمع أديم و هو الجلد المدبوغ، الأكتاف جمع كتف و هو عظم عريض يكون في كتف الحيوان و العسب بضمّ و سكون و بضمّتين أيضاً جمع عسيب و هو جريد النخل إذا نُزِع منه خوصه.

و يُقال «المصحف العثماني»[1] و سببه كما في البخاري عن أنس –رضي الله عنه- أنّ حذيفة بن اليمان قدم إلى عثمان و كان يغازي أهل الشام في فتح أرمينية و أذربيجان مع أهل العراق فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة، فقال حذيفة لعثمان: يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود و النصارى، فأرسل عثمان –رضي الله عنه- إلى حفصة أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف ثمّ نردها إليك، فأرسلت بها إلى عثمان فأمر زيد بن ثابت و عبد الله بن الزبير و سعيد بن العاص و عبد الرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها في المصاحف و قال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة: إذا اختلفتم أنتم و زيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فإنّه إنّما نزل بلسانهم ففعلوا، و أرسل إلى كلّ أفق بمصحف ممّا نسخوا و أمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة

أو مصحف أن يُحرق.

و في رواية أبي قلابة: فلما فرغ عثمان من المصحف كتب إلى أهل الأمصار: إني صنعت كذا و كذا و محوت ما عندي فامحوا ما عندكم اهـ. و يسأل بعضهم لما لم تكن الأحرف الستة موجودة و قد نزلت من عند الله تعالى على نبيّه -صلى الله عليه و سلم- وهو أقرأها أصحابه، فإن نُسخت فرُفعت فما الدليل عليه ؟ و إن نسيتها الأمة و تركتها فذلك تضييع ما قد أُمروا بحفظه. فأجاب الإمام ابن جرير الطبري على هذه الأسئلة بقوله: لم تُنسخ الأحرف الستة فتُرفع و لا ضيّعتها الأمة و هي مأمورة بحفظها و لكن الأمة أُمرت بحفظ القرآن و خُيِّرت في قراءته و حفظه بأيّ تلك الأحرف السبعة شاءت و ضرب لها مثلاً في الفقه و هو إذا حنث موسر في يمين فله أن يختار كفارة من ثلاث كفارات، إمّا بعتق رقبة أو إطعام أو كسوة، فكذلك الأمة أُمرت بحفظ القرآن و قراءته، و خُيّرت في قراءته بأيّ الأحرف السبعة شاءت، فرأت لعلّة من العلل أوجبت عليها الثبات على حرف واحد[2] أي قراءة بحرف واحد، و رفض القراءة بالأحرف الستة الباقية، و لم تحظ قراءته بجميع حروفه و على قارئه أن يلتزم بما أُذن له في قراءته به اهـ. كلام ابن جرير.

و جاء في فتح الباري أيضاً ما نصّه: و سبب اختلاف القراءات السبع و غيرها كما قال ابن أبي هشام: إنّ الجهات التي وُجهت إليها المصاحف كان بها من الصحابة من حمل عنه أهل تلك الجهة، و كانت المصاحف خالية من النقط و الشكل، فثبت أهل كل ناحية على ما كانوا تلقّوْه سماعاً عن الصحابة بشرط موافقة الخط، و تركوا ما يخالف الخط امتثالاً لأمر عثمان الذي وافقه عليه الصحابة لما رأوا في ذلك من الاحتياط للقرآن، فمن ثمّ نشأ الاختلاف بين قراءة الأمصار مع كونهم متمسّكين بحرف واحد من السبعة اهـ من فتح الباري لابن حجر.

و لقد ذهب العلماء في المراد بهذه الأحرف السبعة إلى نحو أربعين قولاً ذكرها الإمام السيوطي في كتابه الإتقان في علوم القرآن، نذكر منها ملخّص ذلك و هو المختار:

إنّ المراد سبع لغات كما صحّحه البيهقي في الشعب، و اختلفوا في تعيينها، فقال أبو عبيدة: قريش و هذيل و ثقيف و هوازن و كنان و تميم و اليمن. و قيل غير ذلك -أعرضنا عن ذكره تجنّباً للإطالة- قال أبو عبيدة: ليس المراد أنّ كل كلمة تُقرأ على سبع لغات، بل اللغات السبع مفرّقة فيه، فبعضه بلغة قريش، و بعضه بلغة هذيل، و بعضه بلغة هوازن، و بعضه بلغة اليمن، و معناه أنّ جبريل -عليه السلام- كان يأتي في كل عرضة بحرف إلى أن تمّت الأحرف السبعة[1]، و ذلك تخفيفاً و تيسيراً على الأمة في التكلم بكتابهم كما خفّف عنهم في شريعتهم، هذا هو المعوّل عليه.

- <u>القراءات القرآنية بعد تدوين مصحف عثمان</u>:

و مع أن القرآن دُوّن في مصحف عثمان -رضي الله عنه- لم يتحوّل الأساس في تلاوته يوماً إلى الاعتماد على المصحف المكتوب بل ظلّ الاعتماد منذ وجود الرسول -عليه السلام- على الرواية بالسند الصحيح المتواتر عنه. فالأساس دائماً هو الرواية عن الرسول -صلى الله عليه و سلم-، و قد تلقّاه شفوياً عنه صحابته و عنهم تلقّاه التابعون و توالى ذلك بالسند المتواتر جيلاً بعد جيل.

و منذ الصدر الأول اختصّ قوم في كل مصر من الأمصار العربية لتلاوة القرآن و

---

(1) تولى عثمان لآخر يوم من ذي الحجة سنة ثلاث و عشرين للهجرة، فاستقبل بخلافته المحرّمة سنة أربع و عشرين، و قُتل في ذي الحجة سنة خمس و ثلاثين للهجرة.

(2) فإن قال قائل: ما العلّة التي أوجبت على الأمة الثبات على حرف واحد من الأحرف السبعة ؟ قيل الخوف من ضياع القرآن باختلافهم في قراءته كما في تفسير الطبري.

ضبطها و العناية بها و بتلقينها الشفوي المروي بالتواتر عن الرسول –صلى الله عليه و سلم- و معنى ذلك أنّ قراءات القرآن سنّة يتبع فيها الخالف السالف، و لذا رأينا ابن مجاهد يتوقف في صدر كتابه، ليؤكّد هذا المعنى ناقلاً له عن عمر بن الخطاب و زيد بن ثابت و من تلاهما من بعض كبار التابعين.

و معروف أن الكتابة في مصحف عثمان –رضي الله عنه- تخلو من النقط و الشكل، و هو خلوّ جعل خط هذا المصحف يستوعب جميع القراءات المتواترة عن الرسول –صلى الله عليه و سلم- و قد تبادر إلى أذهان بعض المستشرقين و الطاعنين عن القرآن أن هذه القراءات إنّما ترجع إلى طبيعة خط المصحف العثماني المجرّد من الإعجام و الشكل، فإذا من القراء مثلاً من يقرأ (فتبيّنوا) أو (فتثبّتوا)(1) أو يقرأ: (بشراً) أو (نشراً)(2) أو يقرأ: (ما تُنزِّل) أو (ما تَنزَّل)(3). و هذه القراءات و ما يماثلها ليست اجتهاداً في قراءة خط المصحف العثماني إنّما هي روايات نُقلت بالتواتر عن الرسول –صلى الله عليه و سلم- و معنى هذا أن نشأتها أقدم من هذا الخط و أنّه لا عبرة له فيها و لا صلة لها به. و يوضّح ذلك ما رُوي عن أبي عمرو بن العلاء أحد أئمة القراءات السبعة و أحد أساتذة النحو في البصرة، إذ كان يقول: لولا أنه ليس لي أن أقرأ إلاّ بما قد قُرئ به لقرأت حرف كذا كذا، و حرف كذا كذا، و سأله الأصمعي عن آيتين متماثلتين في الخط وردتا في قصة إبراهيم (و تركنا عليه) (و باركنا عليه)(4)، كيف يُعرف نطقهما و الفرق بينهما و هما في مصحف عثمان بهيئة واحدة ؟ فأجابه ما يُعرف ذلك إلاّ أن يُسمع من المشائخ الأولين.

فالسماع و المشافهة هما أساس القراءات، و قد مضى الصحابة يتلون القرآن كما سمعوه من الرسول في أثناء صحبتهم له، و تردّد في كتب القراءات و التفسير أسماء عشرات منهم <u>في مقدمتهم من المهاجرين</u>: الخلفاء الراشدون و سعد بن أبي وقاص و طلحة و عبد الله بن مسعود و حذيفة و سالم و أبو هريرة وأبو موسى الأشعري و عبد الله بن عمر و عبد الله بن عباس و عبد الله بن عمرو بن العاص و عبد الله بن السائب المخزومي و عبد الله بن الزبير و أمهات المؤمنين عائشة

---

(1) مصحف القرآن الكريم [سورة النساء، الآية 94]. و يدل على هذا ما أخرجه أبو داود من طريق كعب الأنصاري أن عمر كتب إلى ابن مسعود: إنّ القرآن نزل بلغة قريش فأقرئ الناس بلغة قريش لا بلغة هذيل اهـ. و ابن مسعود كان من هذيل.

(2) مصحف القرآن الكريم [سورة الأعراف، الآية 57].

(3) مصحف القرآن الكريم [سورة الحِجْر، الآية 8].

(4) مصحف القرآن الكريم [سورة الصافات، الآية 108 و 113].

و حفصة و أم سلمة، و من الأنصار زيد بن ثابت و أُبيّ بن كعب و معاذ بن جبل و أبو الدرداء و أنس بن ملك و مُجمّع بن جارية. و عن هؤلاء الصحابة الأجلاّء و أمثالهم من الحفظة حملة القرآن رواه بقراءاته التابعون و نُصْب أعينهم المصحف العثماني، و قاموا في ذلك مقام الصحابة الذين تلقّوه شفاهاً عن الرسول –عليه الصلاة و السلام- فهم يتقيّدون بما أقرأوهم به حرفاً و حركةً و سكوناً. و اشتهر منهم في كل بلد و مصر جماعة كانوا يُقرئون الناس و يأخذون القراءة عنهم عَرْضاً، آيةً آيةً و كلمةً كلمةً و شكلةً شكلةً و مدّة مدّة. و <u>منهم في مدينة الرسول</u> –عليه الصلاة و السلام- عبد الله بن عيّاش بن أبي ربيعة المخزومي و عبد الرحمن بن هرمز الأعرج و سعيد بن المسيب و عروة بن الزبير و يزيد بن رومان و عبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق و ابن شهاب الزهري و عمر بن عبد العزيز. <u>و منهم في مكة</u>: مجاهد بن جبر و درياس مولى ابن العباس و عطاء و طاووس. <u>و منهم في الكوفة</u> زرّ بن حبيش و علقمة و الأسود بن يزيد و مسروق بن الأجدع و أبو وائل و الحارث بن قيس و عمرو بن شرحبيل و كلهم من تلامذة ابن مسعود و أبو عبد الرحمن السلمي عبد

الله بن حبيب و هو أول من أقرأ الناس بالكوفة القراءة التي جمع عثمان الناس عليها. و منهم في البصرة: الحسن البصري أحد القراء الأربعة عشر المميّزين و ابن سيرين و ابن سيرين و قتادة و يحي بن يعمر و نصر ابن عاصم و عبد الله بن أبي إسحق الحضرمي. و منهم بالشام: المغيرة بن أبي شهاب المخزومي أخذ القراءة عن عثمان، و خليد بن سعيد آخذ القراءة عن أبي الدرداء.

و تكاثر في كل مصر من هذه الأمصار خلفاء هذا الجيل الأول من التابعين يتقدّمهم في المدينة: مسلم بن جندب و شيبة بن نصاح و أبو جعفر يزيد بن القعقاع أحد القراء العشرة و نافع أحد القراء السبعة. و في مكة: حميد بن قيس و محمد بن عبد الرحمن بن مُحَيْصَنْ أحد القراء الأربعة عشر و عبد الله بن كثير أحد القراء السبعة. و في البصرة: عيسى بن عمر الثقفي و الحسن البصري أحد القراء و عاصم الجحدري و أبو عمر بن العلاء أحد القراء السبعة و تلميذاه يعقوب بن إسحق الحضرمي أحد القراء العشرة و يحي بن المبارك اليزيدي أحد القراء الأربعة عشر. و في الكوفة: ممّن قرأ على تلامذة ابن مسعود يحي بن وثاب و إبراهيم النخعي و الأعمش سليمان بن مهران أحد القراء الأربعة عشر، ثم عاصم بن أبي النجود تلميذ أبي عبد الرحمن السلمي و هو أحد القراء السبعة و خلفه على القراءة في الكوفة حمزة و تلميذه الكسائي و هما من القراء السبعة. أما في الشام: فانتهت القراءة عند خلفاء التابعين إلى عبد الله بن عامر أحد القراء السبعة.

و ممّن لمعت أسماؤهم في أوائل القرن الثالث الهجري خلف بن هشام ببغداد، أخذ القراءة عن تلامذة حمزة، و روى الحروف عن تلامذة عاصم بن أبي النجود و أبي عمرو بن العلاء و غيرهما، و اختار له حرفاً أو قراءة، يتّفق مع حمزة إلاّ قليلاً، و هو أحد القراء العشرة أو قُل تكملة عدّتهم. و لم يكن علماء القراءات قد تواضعوا حتى عصر خلف بن هشام على أئمة بأعيانهم يحملون عنهم وحدهم القرآن، و ظلّ ذلك إلى أن ظهر ابن مجاهد. و قد مضى كثيرون يحملون عن كل قارئ ثقة قراءته و يعلّمون الناس في زمانه و من بعده.

و حاول نفر من علماء اللغة و النحو أن يتميّزوا بقراءة خاصة على نحو ما حاول الفرّاء، ممّا جعل هؤلاء يتكاثرون، حتى لنرى أبا عبيد القاسم بن سلاّم المتوفى سنة 224هـ يصنّف كتاباً يجمع فيه قراءات خمسة و عشرين إماماً سوى السبعة المشهورين الذين عرّف بهم فيما بعد و أقامهم أئمة للقراء ابن مجاهد في كتابه "كتاب السبعة في القراءات". و يؤلف بعده القاضي إسماعيل بن إسحق البغدادي أستاذ ابن مجاهد المتوفى سنة 282هـ كتاباً جمع فيه قراءات عشرين إماماً. و يصنّف ابن جرير الطبري المتوفى سنة 310هـ كتاباً يجمع فيه قراءات نيف و عشرين إماماً.

و الجدير بالذكر الجهود العظيمة التي نهض بها علماء القراءات منذ القرن الثاني للهجرة، فقد أخذوا يؤلفون مصنّفات مختلفة في قراءة كل إمام محاولين بكل ما أوتوا من قوة لضبط قراءة كل إمام و تمييزها بجميع شاراتها و خصائصها من حيث الإدغام و الإمالة و الاختلاس و تحقيق الهمز و تسهيله و الإشمام و غير الإشمام. و نشطت البصرة في ذلك كما نشطت في النحو نشاطاً واسعاً، فألّف هارون بن موسى تلميذ أبي عمرو بن العلاء كتاباً تعقّب فيه الشاذ من القراءات باحثاً عن أسانيده و ألّف يعقوب بن إسحق الحضرمي -المذكور آنفاً- و هو أحد القراء العشرة كتاباً سمّاه الجامع، جمع فيه قراءات الأئمة و نسب كل قراءة إلى صاحبها. و على مرور القرن الثالث الهجري نشطت التآليف في القراءة و توسّعت على نحو ما نجد عند يحي بن آدم المتوفى سنة 203هـ، و الواقدي المتوفى سنة 209هـ و محمد بن سعدان المتوفى سنة 230هـ، و أبي عمر الدوري المتوفى سنة 246هـ، و هرون بن حاتم المتوفى سنة 249هـ، و علي بن نصر الجهضمي المتوفى سنة 250هـ، و أبي حاتم السجستاني المتوفى سنة 255هـ، و أحمد بن جبير الأنطاكي المتوفى سنة 258هـ و غيرهم كثيرون.

غير أن هذه المؤلفات المتتالية في القراءات لم تستطع أن توقف السيل العرم، و تكاثرهم خلق

نوعاً من التحامل على القراءات و قرّائها في القرن الثاني الهجري بحيث أخذت الطرق تتعدّد تعدّداً واسعاً. و كان منهم المتقن للتلاوة و الرواية و الدراية بها، و منهم من ينقص إتقانه من بعض الوجوه، فتفاوتت القراءات و كثرت فيها الاختلافات بين القراء، و اتسع الخرق و طفح الكيل، إذ صوّر ابن مجاهد ذلك من بعض الوجوه في مقدمة كتابه "كتاب السبعة في القراءات" إذ لاحظ أن من القراء الحاذق العلم بوجوه الإعراب و اللغات و القراءات و أسانيد الروايات، و ذلك هو الإمام المتقن مفزع الحفاظ و مهوي أفئدتهم. و بجانبه من يعرب و لكن لا علم له باختلاف القراء، فربّما سمع قراءة و ظنّها خطأً، مثله مثل الراوية الذي ليس لديه بصراً بالعربية، فربّما نسي بعض حفظه فدخل الخطأ على لسانه. و الأدهى منهما من يحسن العربية و معرفة النحو و اللغات و لكن لا علم له بالقراءات، فربّما أدّته معرفته بالعربية إلى أن يقرأ بحرفٍ لم يقرأ به أحد في الماضين فيكون بذلك مبتدعاً. اهـ قول ابن مجاهد.

السؤال الذي حيّر القارئ اليوم و قد استفحل أمر الخرق في القراءات القرآنية و داهمها الخطر الشديد و ما من منجدٍ يأخذ بيدها حيث صار معظم الناس يقرأون القرآن عن جهل مركّب لها، و بطرق مخالفة عن قراءات السلف الصالح. عصر ابن مجاهد وجد من يقف أمام هذا السيل و أرجع الأمور إلى أسسها الأصلية. أما اليوم و نحن في عصر التيه الذي أصاب الأمة، فهل من مغيث لها ؟

فما الذي يقبل من القراءات فيقرأ به ؟ و ما الذي لا يقبل و لا يقرأ به و ما الذي يقبل و لا يقرأ به ؟

إرجع معي أخي القارئ و أختي القارئة إلى الذي سبق ذكره في هذه العجالة التاريخية تجد أن حديث النزول أشار في بدايته إلى القراءة بحرف واحد حرف قريش –أي بلهجتها- و الرسول –صلى الله عليه و سلم- و لأسبابٍ نجملها في محاولة ضم اللهجات الأخرى المشهورة – السالفة الذكر- ليدخل أهلها في الإسلام و تتم بذلك وحدة الأمة و التيسير عليها في القراءات القرآنية لحكمة، إذ طلب - صلى الله عليه و سلم- من مولاه التخفيف على الأمة و للمرة السابعة حتى حقّق مبتغاه، و هو القراءة بالحروف السبعة.

و القرآن كما نعلم نزل بلسان عربي مبين كما ورد في الذكر الحكيم –أي بلسان قريش-، و أن الحروف الستة الباقية تخلّلتها تلعثمات لسانية لا تمتّ إلى اللغة العربية الفصحى بصلة و من هنا بدأ الخلاف و استفحلت شرارته، هذا و الرسول - صلى الله عليه و سلم- بين ظهران أمته، و كان يفضّ الخلاف الناتج عن سوء الفهم بقوله - صلى الله عليه و سلم-: كِلاكما محقّ في قراءته. أما و قد سلف لله و استفحل الخلاف بين المسلمين في القراءات القرآنية، و استحرّ القتل في الغزوات و استشهاد كثير من الصحابة حفظة القرآن الكريم –رضوان الله عليهم أجمعين-، و بعد كتابة المصحف العثماني و إجماع الأمة عليه أصبح الخروج عنه محرّما قطعاً، بموجب طاعة أولياء الأمور و مصلحة الأمة.

أما قضية الحروف الستة فإنّها انتهت بموجب إجماع الأمة على المصحف العثماني و المخالف له يرتكب جرماً قد لا يغتفر، أما الحروف الستة الباقية لا ننكرها و لا نعمل بها و القراءة بأي وجه آخر غير لغة قريش تكون باطلة.

و إذا أخذنا بعين الاعتبار ما أورده ابن الجزري في كتابه النشر في القراءات العشر من أن أهل كل مصر قرأوا في مصحفهم و نقلوا ما فيه عن الصحابة الذين تلقّوه عن رسول الله - صلى الله عليه و سلم- و أصبحوا بدورهم مقرئين، من أمثال سعيد بن المسيب المتوفى سنة 94هـ، و معاذ بن جبل بن الحارث المتوفى سنة 63هـ، و عروة بن الزبير المتوفى سنة 95هـ و هم من أهل المدينة. و عبيد بن عمر الليثي المتوفى سنة 74هـ و طاووس بن كيسان المتوفى سنة 106هـ، و عكرمة بن خالد بن العاص المتوفى سنة 115هـ، و كانوا في مكة. و علقمة بن قيس المتوفى سنة 62هـ، و مسروق بن الأجدع بن مالك المتوفى سنة 63هـ، و الأسود بن يزيد المتوفى سنة 75هـ، و زرّ بن حبيش المتوفى

سنة 82هـ و سعيد بن جبير المتوفى سنة 95هـ، و إبراهيم النخعي المتوفى سنة 96هـ، و عبد الله بن حبيب السلمي المتوفى سنة 74هـ، و كانوا في الكوفة. و أبي العالية رفيع بن مهران المتوفى سنة 90هـ، و أبي رجاء العطاردي المتوفى سنة 105هـ، و جابر بن يزيد المتوفى سنة 93هـ، و نصر بن عاصم المتوفى سنة 89هـ، و يحي بن يعمر المتوفى سنة 129هـ، و الحسن البصري المتوفى سنة 110هـ، و كانوا في البصرة.

و كان منهم بالشام المغيرة بن أبي شهاب المخزومي صاحب عثمان بن عفان في القراءة، و حديد بن سعد صاحب أبي الدرداء. نقول عنهم و بحق أنّ هؤلاء و غيرهم ممّن سبقوهم كانوا أساتذة. و يمكن أن تحدّث عنهم و لا حرج، أخلصوا لله في القراءات القرآنية و اعتنوا بضبطها أتمّ عناية، و أجمع العلماء على اعتبارهم النخبة المختارة من أئمة القراء السبعة ثم العشرة، و إن كان في بعض الأعمال المنسوبة إلى بعضهم خللاً يرجع إلى رسم المصحف العثماني كما مرّ بنا في هذا البحث، فإن أثره ضئيل الجدوى و الحمد لله.

و لعلّ ما يُسلّط على هذا النوع من الخلاف نجده في قراءة عيسى بن عمرو الثقفي المتوفى سنة 149هـ و ذلك لفلسفة النحاة التي آلت فيما بعد إلى ما لا تحمد عقباه، و من الأمثلة التي تُنسب إليه في قراءة قوله تعالى (هؤلاء بناتي هنّ أطهر لكم) [سورة هود، الآية 78]، بنصب كلمة أطهر تعتبر من بين القراءات الشاذة مع أنها عُرفت عن الصحابة –رضوان الله عليهم أجمعين- و قرئت شفاهاً منهم و تواترت بينهم و من المُجمع عليها. و قد تلقّاها عن الحسن البصري الذي كان يقرأ بها و قرأ بها غيره. و يقوي هذا الضعف كذلك أن قراءة الحسن البصري لم تلق نجاحاً كبيراً مع أن الأجيال التالية جعلته في عداد القراء الإثنى عشر، كما غطّى الحسن البصري مقرئاً آخر هو أبو عمرو بن العلاء.

و إذا رجعنا إلى قضية المصاحف التي سبقت المصحف العثماني، و التي هي منسوبة إلى ثلة من جلة الصحابة و الحفاظ المشهود لهم و تلقّوا القرآن الكريم عن الرسول –عليه الصلاة و السلام- فلا يسعنا إلاّ القول بأنه لم يكن هناك كبير اختلاف بينها و إن وُجد بعض الاختلاف فمرجعه ترتيب السور لا اختلاف النص بالزيادة و النقصان. ثم يقول ابن الجزري: «بعد أن بيّن أنّ كثيراً من العلماء نصّوا على أنّ الحروف التي وردت عن أُبيٍّ و ابن مسعود و غيرهما –رضوان الله عليهم- ممّا يخالف المصاحف العثمانية منسوخة»، و يقول: نعم، كانوا ربما يدخلون التفسير في القراءة إيضاحاً و بياناً، لأنهم محقّقون لما تلقّوه عن النبي –صلى الله عليه و سلم- قرآناً، فهم آمنون من الالتباس و ربّما كان بعضهم يكتب معه، لكن ابن مسعود –رضي الله عنه- كان يكره التفسير في القرآن تبعاً لِقول النبي –عليه الصلاة و السلام- «جرّدوا القرآن و لا تلبسوا به ما ليس منه».

هذا من جهة القراء المشهورين في قراءة القرآن منذ البعثة النبوية إلى سنة 255هـ، و هو التاريخ الذي بقيت القراءات القرآنية محافظة على صحتها و تُقرأ وفق ما تعلّموه من رسول الله –صلى الله عليه و سلم- و بعد هذه الفترة التاريخية بدأ القراء يحيدون عن مسارها الأصلي و بقيت تسير على هذا المنحى إلى يومنا هذا بما لا يبعث على الارتياح، نسأل الله السلامة آمين.

أمّا مسار القراءات القرآنية في التاريخ المذكور و ما بعده، ضُبِط بأصول و عند الآخرين بأركان ميّزتها و حافظت عليها. ورد عن الحافظ أبي الخير محمد بن محمد الدمشقي الشهير بابن الجزري المتوفّى سنة 833هـ: في كتابه النشر في القراءات العشر، الجزء الأول، صفحة 10، قال و هو يحدّد الأطر التي تسير عليها القراءات: كل قراءة وافقت العربية و لو بوجهٍ و وافقت أحد المصاحف العثمانية و لو احتمالاً و صحّ سندها فهي القراءة الصحيحة التي لا يجوز ردّها و لا يَحِلّ إنكارها، بل هي من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن و وجب على الناس قبولها، سواء كانت عن الأئمة السبعة أم العشرة أم عن غيرهم من الأئمة المقبولين، و متى اختلّ ركن من هذه الأركان الثلاثة أُطلق عليها ضعيفة أو شاذة أو باطلة سواء كانت عن السبعة أم عن من هو أكبر منهم، هذا هو الصحيح عند أئمة

التحقيق من السلف و الخلف.

و صرّح بذلك الإمام الحافظ أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني، و كذلك الإمام أبو محمد مكّي بن أبي طالب و كذا الإمام أبو العباس أحمد بن عمار المهدوي و حقّقه الإمام الحافظ أبو القاسم عبد الرحمن بن إسماعيل المعروف بأبي شامة و هو المذهب السلفي الذي لا يعرف أحد منهم خلافه. قال أبو شامة -رحمه الله- في كتابه "المرشد الوجيز" و هو يتحامل على الأئمة السبعة الذين ذكرهم ابن مجاهد في كتابه "كتاب السبعة في القراءات":«فلا ينبغي أن يُغترّ بكل قراءة تُعزى إلى واحد من هؤلاء الأئمة السبعة و يُطلق عليها لِحفظ الصحة و إنّ هكذا أُنزلت إلاّ إذا أُدخلت في ذلك الضابط و حينئذ لا ينفرد بنقلها مصنّف عن غيره و لا يختص ذلك بنقلها عنهم بل إن نُقلت عن غيرهم من القراء فذلك لا يخرجها عن الصحة، فإنّ الاعتماد استجماع تلك الأوصاف لا عمّن تُنسب إليه فإنّ القراءات المنسوبة إلى كل قارئ من السبعة و غيرهم منقسمة إلى المُجمع عليه و الشاذ، غير أن هؤلاء السبعة لِشهرتهم و كثرة الصحيح المُجمع عليه في قراءته تركن النفس إلى ما نُقل عنهم فوق ما يُنقل عن غيرهم».

قال ابن الجزري: و قولنا في الضابط و لو بوجهٍ نريد به وجهاً من وجوه النحو سواء كان أفصح أم فصيحاً مُجمعاً عليه أم مختلفاً فيه اختلافاً لا يضرّ مثله إذا كانت القراءة ممّا شاع و ذاع و تلقّاه الأئمة بالإسناد الصحيح، إذ هو الأصل الأعظم و الركن الأَقْوَم و هذا هو المختار عند المحقّقين في ركن موافقة العربية، فكم من قراءة أنكرها بعض أهل النحو أو كثير منهم و لم يعتبر إنكارهم بل أجمع الأئمة المقتدى بهم من السلف على قبولها كإسكان (بارئكم و يأمركم) و نحوه (و سبأ، و يا بني، و مكر السيء، و ننجي المؤمنين في الأنبياء) ، و إدغام أبي عمرو (و استطاعوا) لحمزة و إسكان (نعمى و يهدي) و إشباع الياء في (نرتعي، و يتّقي و يصبر، و أفئدة من الناس) و ضمّ (الملائكة اسجدوا) و نصب (كن فيكون) و خفض (و الأرحام) و نصب (و ليجزي قوماً) و همز (سأقيها) و وَصْل (و إن إلياس) و ألف (إنّ هذان) و تخفيف (و لا تتبعان) و قراءة (ليكة) في الشعراء و ص و غير ذلك.

قال الحافظ أبو عمرو الداني في كتابه " جامع البيان " بعد ذكره إسكان (بارئكم و يأمركم) لأبي عمرو و حكاية إنكار سيبويه له، يقول الداني: و الإسكان أصحّ في النقل و أكثر في الأداء و هو الذي اختاره و آخذته، و آخذ به، ثم لمّا ذكر نصوص روايته قال: و أئمة القراء لا تعمل في شيء من حروف القرآن لا على الأفشى في اللغة و الأقيس في العربية، بل على الأثبت في الأثر و الأصحّ في النقل و الرواية إذا ثبت عنهم لم يردّها قياس عربية و لا فشو لغة لأن القراءة سنة متّبعة يلزم قبولها و المصير إليها.

و قال الإمام أبو محمد مكّي في مصنّفه الذي ألحقه بكتاب "الكشّاف" له: فإن سأل سائل فقال فما الذي يُقبل من القرآن الآن فيُقرأ به ؟ و ما الذي لا يُقبل و لا يُقرأ به ؟ و ما الذي يُقبل و لا يُقرأ به ؟ قال مجيباً عن نفسه: أن جميع ما رُوي في القرآن عن ثلاثة أقسام:

- <u>القسم الأول</u>:

يُقرأ به اليوم و ذلك ما اجتمع فيه ثلاث خلال و هنّ: أن يُنقل عن الثقات... عن النبي -صلى الله عليه و سلم- و يكون وجهه في العربية التي نزل بها القرآن سالفاً و يكون موافقاً لِخطّ المصحف العثماني، و إذا اجتمعت فيه هذه الخلال الثلاث قُرأ به و قُطع على مغيبه و صحّته و صدقه لأنه أُخذ عن إجماع من جهة موافقة خط المصحف، و كفر من جحده.

- <u>القسم الثاني</u>:

ما صحّ نقله عن الآحاد و صحّ وجهه في العربية و خالف لفظه خط المصحف، فهذا يُقبل و لا يُقرأ به لِعلّتين: إحداهما أنّه لم يُؤخذ بإجماع إنّما أُخذ بإخبار الآحاد، و لا يثبت قرآن يُقرأ به بخبر الواحد، و العلّة الثانية أنّه مخالف لما قد أُجمع عليه، فلا يُقطع على مغيبه و صحّته، و ما لم يُقطع على

صحّته لا تجوز القراءة به، و لا يكفر من جحده، و لبئس ما صنع إذا جحده.

- القسم الثالث:

هو ما نقله غير ثقة، أو نقله ثقة، و لا وجه له في العربية، فهذا لا يُقبل و إن وافق خط المصحف.

و للوضوح أكثر أورد لكل قسم تمثيلاً مختصراً. و مثال القسم الأول: (مالك و ملك) في قوله تعالى (ملك يوم الدين) [سورة الفاتحة، الآية 4، ص 2]، (يخدعون و يخادعون) في قوله تعالى (يخادعون الله و الذين آمنوا و ما يخادعون إلاّ أنفسهم) [سورة البقرة، الآية 9، ص 4] و قوله تعالى (إن المنافقين يخادعون الله و هو خادعهم...) [سورة النساء، الآية 142، ص 115]، و (أوصى و وصى) في قوله تعالى (و أوصى بها إبراهيم بنيه) [سورة البقرة، الآية 132، ص 25]، و نحو ذلك من القراءات المشهورة، و مثال القسم الثاني: قراءة عبد الله بن مسعود و أبي الدرداء –رضي الله عنهما- (و الذكر و الأنثى) في قوله تعالى (و ما خلق الذكر و الأنثى) [سورة الليل، الآية 3، ص 700]، و في قراءة ابن عباس (و كان أمامهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصباً، و أما الغلام فكان كافراً) في قوله تعالى (أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فأردت أن أعيبها و كان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصباً، و أما الغلام فكان أبواه مومنين فخشينا أن يرهقهما طغياناً و كفراً) [سورة الكهف، الآيتان 79 و 80، ص 347]، و نحو ذلك ممّا ثبت برواية الثقات، و اختلف العلماء في جواز القراءة بذلك في الصلاة فأجازها بعضهم لأن الصحابة و التابعين كانوا يقرأون بهذه الحروف في الصلاة، و هذا أحد القولين لأصحاب الشافعي و أبي حنيفة و إحدى الروايتين عن مالك و أحمد. و أكثر العلماء على عدم الجواز لأن هذه القراءات لم تثبت متواترة... عن النبي –صلى الله عليه و سلم- و إن ثبت بالنقل فإنها منسوخة بالعرضة الأخيرة أو بإجماع الصحابة على المصحف العثماني أو أنها لم تُنقل إلينا نقلاً يثبت بمثله القرآن أو أنّها لم تكن من الأحرف السبعة.

و قال آخرون إن قرأ بها في القراءة الواجبة –الفاتحة- عند القدرة على غيرها لم تصح صلاته لأنه لم يتيقّن أنه أدّى الواجب من القراءة لعدم ثبوت القرآن بذلك و إن قرأ بها فيما لا يجب –صلاة النافلة- لم تبطل لأنه لم يتيقّن أنّه أتى في الصلاة بمُبطلٍ لِجواز أن يكون ذلك من الحروف التي أُنزل عليها القرآن، و هذا يبتني على أصلٍ و هو أنّ ما لم يثبت كونه من الحروف السبعة فهل يجب القطع بكونه ليس منها ؟ فالذي عليه الجمهور أنه لا يجب القطع بذلك، إذ ليس ذلك مما وجب علينا أن يكون العلم به في النفي و الإثبات قطعياً و هذا هو الصحيح عند الجمهور و إليه أشار مكّي بقوله: و لبئس ما صنع إذ جحده.

و ذهب بعض أهل الكلام إلى وجوب القطع بنفيه حتى قطع بعضهم بخطإ من لم يثبت البسملة من القرآن في غير سورة النمل في قوله تعالى (إنه من سليمان و إنه من بسم الله الرحمن الرحيم) [سورة النمل، الآية 30، ص 435]، و عكس بعضهم فقطع بخطإ من أثبتها لِزعمهم أن ما كان من موارد الاجتهاد في القرآن فإنه يجب القطع بنفيه و الصواب أن كلاً من القولين حقّ و أنها آية من القرآن في بعض القراءات، و هي قراءة الذين يفصلون بها بين السورتين و ليست آية في قراءة من لم يفصل بها و الله أعلم. و كان بعض أئمتنا يقول على قول من حرّم القراءة بالشاذّ يكون عالماً من الصحابة و أتباعهم قد ارتكبوا محرماً بقراءتهم بالشاذ فيسقط الاحتجاج بخبر من يرتكب المحرّمة دائماً و هم نقلة الشريعة الإسلامية فيسقط ما نقلوه و يفسد على قول هؤلاء نظام الإسلام و العياذ بالله.

و من أمثلة القسم الثالث ما ورد في كتب الشواذ مما هو في الغالب إسناده ضعيف كقراءة السميفع و أبي السمال و غيرهما في (ننجيك ببدنك) قُرئت (ننحيك) بالحاء المهملة (و تكون لمن خلافك آية) بفتح سكون اللام في قوله تعالى (فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية) [سورة يونس، الآية 92، ص 250]، و كالقراءة المنسوبة إلى الإمام أبي حنيفة –رحمه الله- التي جمعها أبو الفضل

محمد بن جعفر الخزاعي و نقلها عنه أبو القاسم الهذلي و غيره فإنها لا أصل لها، قال أبو العلاء الواسطي: إن الخزاعي وضع كتاباً في الحروف نسبه إلى أبي حنيفة فأخذت خطّ الدارقطني و جماعة أن الكتاب موضوع لا أصل له. و ما جاء في الكتاب منه (إنما يخشى اللهُ من عباده العلماءَ) برفع الهاء و نصب الهمزة و قد راج ذلك على أكثر المفسرين و نُسبت إليه، في قوله تعالى (إنما يخشى اللهَ من عباده العلماءُ) [سورة فاطر، الآية 28، ص 506]. و إن أبا حنيفة لبريء منها. و مثال ما نقله ثقة و لا وجه له في العربية و لا يصدر مثل هذا إلاّ على وجه السهو و الغلط و عدم الضبط و يعرفه الأئمة المحققون و الحفاظ الضابطون و هو قليل جداً بل لا يكاد يوجد و قد جعل بعضهم منه رواية خارجة عن نافع (معائش) بالهمز في قوله تعالى (و جعلنا لكم فيها معايش قليلاً ما تشكرون) [سورة الأعراف، الآية 10، ص 176] و ما رواه ابن البكار عن أيوب عن يحي عن ابن عامر من فتح ياء (أدريَ أقريب) مع إثبات الهمزة، في قوله تعالى (و إن أدري أقريب أم بعيد ما توعدون) [سورة الأنبياء، الآية 109، ص 384] و هي رواية زيد و أبي حاتم عن يعقوب، و ما رواه أبو علي العطار عن العباس عن أبي عمرو (ساحران تظاهرا) بتشديد الضاد في قوله تعالى (قالوا ساحران تظاهرا و قالوا إنّا بكلّ كافرون) [سورة القصص، الآية 48، ص 453] و النظر في ذلك لا يخفى.

مع أن المقياس الأساسي في القراءة القرآنية بعد مصحف عثمان كان: السماع و المشافهة و التواتر، نجد من المقرئين من يحيد عن هذا المقياس رغم علمه بقول الله تعالى (لا تبديل لكلمات الله ذلك الفوز العظيم (64) و لا يحزنك قولهم إن العزة لله جميعاً هو السميع العليم) [سورة يونس، الآيتان 64 و 65، ص 247]، و قوله تعالى (و لقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم هدى و رحمة لقوم يومنون) [سورة الأعراف، الآية 52، ص 182]، و الله تعالى يقول (و هم يجادلون في الله و هو شديد المحال) [سورة الرعد، الآية 13، صفحة 287]، و حتى الخلال الثلاثة السابقة الذكر لم تلق صدى عند بعض القراء نتيجة للتغيير الذي أدخلوه على كلام الله، و غلوهم في النحو إلى حدّ فلسفته، مع أن علم الكلام كان للفقهاء رأي فيه نجمله في أبيات من الشعر التعليمي:

- فصل في جواز الاشتغال به –

و الخلف في جواز الاشتغال ... به على ثلاثة أقوال
فابن الصلاح و النواوي حرما ... و قال قوم ينبغي أن يُعلما
و القولة المشهورة الصحي ... جوازه لكامل القريحة
ليهتدي به إلى الصواب ... ممارس السنة و الكتاب

و لْنَعلم أنّ لا قراءة اليوم للمسلمين إلاّ بالحرف الواحد الذي اختاره لهم إمامهم المشفق عليهم الناصح لهم دون ما عداه من الأحرف الستة.

و الأغرب من ذلك ما وصلت إليه القراءة القرآنية و هو: أن أيّاً كان يمكنه أن يصبح قارئاً بمجرد الاستماع إلى أي تسجيل للقرآن و يصبح شيخاً في القراءة فالاعتماد إلى السماع لا يكفي وحده و يكون من الشيخ المقرئ الموثوق به و ليس من التسجيلات، أعاذنا الله من ذلك و حفظنا منه، آمين.

و إلى اللقاء في سلسلة تتبع مع كتاب الله تعالى، إن شاء الله، آمين.

المراجع المعتمدة في البحث

مرتبة ترتيباً هجائياً

- الإمام أبي سعيد عثمان بن سعيد المصري الملقب بوَرش: عن الإمام نافع بن عبد الرحمن المدني: مصحف القرآن الكريم، المطبعة الثعالبية، الجزائر 1390هـ.
- القاضي عبد الرحمن الجبار بن أحمد الهمذاني (المتوفى سنة 415هـ): متشابه القرآن، دار التراث، القاهرة (ب ت)، الجزء الأول و الثاني.
- الرافعي مصطفى صادق: إعجاز القرآن و البلاغة النبوية، الطبعة السابعة، مطبعة الاستقامة، القاهرة، 1381هـ-1961م.
- الإمام الزمخشري أبي القاسم جار الله محمود بن عمر بن محمد (المتوفى سنة 538هـ): الكشّاف عن حقائق غوامض التنزيل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل، الجزء الثاني، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى، 1415هـ-1995م.
- الخالدي صلاح عبد الفتاح: البيان في إعجاز القرآن، دار عمار، من ط 1 إلى ط 3، عمان-الأردن، 1989م.
- الصاوي الجويني مصطفى: منهج الزمخشري في تفسير القرآن و بيان إعجازه، دار المعارف، مصر، الطبعة الثانية، (ب ت).
- الباقلاني أبو بكر محمد بن الطيب (المتوفى سنة 403هـ): إعجاز القرآن، دار المعارف، الطبعة الخامسة، 1981م.
- الصعيدي عبد المتعال: النظم الفني في القرآن، مكتبة الآداب بالجماميزت، المطبعة النموذجية، (ب ت).
- القلقيلي محمد عادل: الإعجاز القرآني، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، 1417هـ-1997م.
- الشيرازي الشافعي أبو إسحاق (393-476هـ): طبقات الفقهاء، دار الرائد العربي، بيروت-لبنان، الطبعة الثانية، 1401هـ-1981م.
- العكبري أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله (538- 616هـ): إملاء ما منّ به الرحمن من وجوه الإعراب و القراءات في جميع القرآن، الجزء الأول، الطبعة الأولى، 1380هـ-1961م.
- القيسي مكّي بن أبي طالب حموش (355- 437هـ): الإبانة عن معاني القراءات، مكتبة نهضة مصر، القاهرة (ب ت).
- ابن مجاهد أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس التميمي البغدادي (ولد سنة 245هـ): كتاب السبعة في القراءات، دار المعارف، مصر، (ب ت).
- الكردي المكي محمد طاهر الخطاط كاتب مصحف مكة المكرمة: تاريخ القرآن و غرائب رسمه و حكمه، الطبعة الثانية، 1372هـ-1953م.
- الإمام الداني أبو عمرو عثمان بن سعيد (ولد سنة 371هـ): كتاب التيسير في القراءات السبع، مطبعة الدولة، استانبول، 1920م.
- ابن خياط أبو عمرو خليفة (توفي سنة 240هـ): كتاب الطبقات، القسم الأول، دمشق، 1966م.
- ابن تيمية النميري تقيّ الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم (661-728هـ): شرح حديث النزول، منشورات المكتب الإسلامي، الطبعة الرابعة، 1389هـ-1969م.
- القطان مناع: مباحث في علوم القرآن، منشورات العصر الحديث، 1391هـ-1971م.
- الأبياري إبراهيم: تاريخ القرآن، دار القلم، 1965م.
- ابن الجزري الحافظ أبو الخير محمد بن محمد الدمشقي (المتوفى سنة 833هـ): النشر في القراءات العشر، الجزءان الأول و الثاني، المكتبة التجارية الكبرى، مصر (ب ت).
- العظمة أحمد مظهر: من تاريخ القرآن و إعجازه، مطبعة الترقّي، دمشق، 1370هـ-1950م.
- الإمام ابن خالويه (توفي سنة 370هـ): الحجة في القراءات السبع، دار الشروق، بيروت، 1971م.

- ابن الجوزي: عجائب علوم القرآن، تحقيق و تقديم و تعليق عاشور عبد الفتاح، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر (ب ت).
- ابن جني أبو الفتح عثمان (المتوفى سنة 392هـ): المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات و الإيضاح عنها، الجزءان الأول و الثاني، القاهرة، 1386هـ-1969م.
- الفارسي أبو علي الحسن بن أحمد (عاش في القرن الرابع هجري): الحجة في علل القراءات السبع، الجزء الأول، (ب م)، (ب ت).
- حسن محمد عبد الغني: التراجم و السير، دار المعارف، الطبعة الثالثة، القاهرة (ب ت).
- دمشقية عفيف: أثر القراءات القرآنية في تطور الدرس النحوي، معهد الإنماء العربي، الطبعة الأولى، بيروت، 1978م.
- مكرم عبد العال سالم: القرآن الكريم و أثره في الدراسات النحوية، دار المعارف، مصر، 1384هـ-1965م.
- صقر عبد البديع: التجويد و علوم القرآن، الطبعة الرابعة، المكتب الإسلامي، 1391، دمشق.
- علي الصغير محمد حسن: تاريخ القرآن، الدار العالمية للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى، 1403هـ-1983م.
- عبد الغفار أحمد: النص القرآني بين التفسير و التأويل، كلية الآداب جامعة الإسكندرية، 1998م.
- قطب محمد: دراسات قرآنية، دار الشروق، الطبعة السابعة، 1414هـ-1993م.
- قطبي الطاهر: التوجيه النحوي للقراءات القرآنية، ديوان المطبوعات الجزائرية، الجزائر، 1990م.
- قطب السيد: التصوير الفني في القرآن، دار الشروق، الطبعة السادسة 1400هـ-1980م.
- قصار الشريف: معاني الحروف في القرآن الكريم، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م.
- سلام محمد زغلول: أثر القرآن في تطور النقد العربي إلى آخر القرن الرابع الهجري، دار المعارف، مصر، 1372هـ-1952م.
- شلبي عبد الفتاح إسماعيل: رسم المصحف و الاحتجاج به في القراءات، مكتبة نهضة مصر، 1380هـ-1960م.
- إسلام أحمد مدحت: علماء العرب و المسلمين و إنجازاتهم العلمية في بناء الحضارة الإنسانية، دار الفكر العربي، القاهرة، 1420هـ-1999م.